الكتابة الشّاهدية والذاكرة الجماعية:
قراءة في أنثروبولوجية العلاقة بمقابر مدينة سيدي بلعباس

د./ بو وشمة الهادي
كلية العلوم الاجتماعية– جامعة سيدي بلعباس
elhadibououchma@gmail.com

الملخص:

كما يبدو من العنوان، موضوع هذا البحث تَمَحْوَرَ حول على علاقة مُتغيري الكتابة الشاهدية بالذاكرة الجماعية، وحيز هذه الدراسة فيه خصّ بعض مقابر مدينة سيدي بلعباس كنموذج لمقابر أخرى.

العمل هذا تمفصل على عدد من المباحث التي انتهت إلى محاولة الربط السوسيو أنثروبولوجي بين الكتابة الشاهدية والذاكرة الجماعية، في هذا السياق كانت العودة بداية للتأصيل الأنثروبولوجي لحدث الموت باعتباره ليس مجرد حدث فيزيولوجي، وإنّما هو حدث كائن ذو رموز، ومعطى بشري وثقافي عام والقدر النهائي لكلّ البشرية، لننتقل بالبحث إلى محاولة الربط بين حدث الموت والكتابة من خلال مختلف الطقوس والممارسات والمعتقدات والتعابير والتصورات، التي ارتبطت به ومنها فعل الكتابة كآلية استحدثت ضد النسيان وكفعل للاستذكار والتذكر.

في إطار ذلك تبدو الكتابة الشاهدية ذات أهمية كبيرة مثلما تتعدد رهاناتها عند المجتمع المبحوث، فالشاهد ومن خلاله القبر والكتابة هي وثائق مهمة أثريا وفنيا وتاريخيا، مثلما هي مهمّة أيضا من الناحيتين السوسيولوجية والأنثروبولوجية، فالمقبرة دوما فضاء للاتعاظ، مثلما هي فضاء للذكريات، وتبقى أحد أهم رهانات الكتابة الشاهدية من على القبور الموجودة بها عند مجتمع سيدي بلعباس كنموذج لهذه الدراسة، اعتباره لها كآلية مهمة للتذكر والتواصل الاجتماعي بين الحي والميت وترك ذكراه قائمة.

عموما يبقى النص الشاهدي متضمنا لرموز المجتمع المحلي وثقافاته مثلما هو حامل أيضا لرهاناته في التواصل والتذكر، فالكتابة الشاهدية في تمثلات هذا المجتمع تبقى أهم آلية ضد النسيان، مثلما هي المحدد لهوية الميت والرابط بذكراه.

الكلمات المفتاحية: الكتابة الشاهدية؛ الموت؛ القبر؛ مقابر الغرب الجزائري؛ الآلية؛ الرهان؛ الذاكرة الجماعية؛ التواصل الاجتماعي.

تقديم:

رغم أهمّية شواهد القبور كواثق أثرية وإنسانية إلا أنه باستثناء علمي يُحسب لأبحاث الأركيولوجية والتاريخية، التي اهتمت وأفردت لذلك إقطاعا هاما من اهتمامها القديم والحديث بالظاهرة، فإنه بالمقابل لم يكن الحال والاهتمام نفسه مع السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا، غير أنه مع تطور هذين التخصصين خصوصا خلال القرن الماضي بدأ اهتمامها يتوجه إلى بعض الجوانب الانسانية والثقافية في ذلك، خصوصا أن اتساع نطاق مشهدية الظاهرة، فرض على الباحثين الأنثروبولوجيين ضرورة دراسة ذلك في إطار كشف مختلف أنساق الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية للإنسان، ومنها مثلا أنساق الشعائر والطقوس الجنائزية، وما يرتبط بها من ممارسات، ولعل أبرزها في هذا السياق النصوص والنقوش الشاهدية، التي أصبحت بحضورها المكثف محلا للبحث والتفكيك الرمزي وللمعنى والخطاب المتضمن فيها، حيث تحاول كلا السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا فهم مضمونها وتأويل دلالاته بما يتماشى ورهانات المجتمعات الفاعلة لها من هذه الممارسة.

الحديث عن الكتابة من على القبور يدفع الكاتب والملتقي في نفس الوقت لاستحضار حدث الموت، فلا قبر بدون موت، ولا كتابة جنائزية إلا بتوفر بناء جنائزي (القبر)، ولهذا كان دائما حدث الموت حدث أبرز وجلل عند مختلف الشعوب، توقف عنده فكر الانسان وفلسفته وشد البحث إليه، فكل العلوم على اختلافها كانت لها رؤيتها وتفسيراتها لحدث الموت، حتى أن الباحث حولها يصطدم بعدد غير متناهي للدراسات حولها، ما يُصعّب عليه عملية التصنيف والموضعة.

رغم الاهتمام الذي توليه الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا اليوم – كما سلفنا الذكر– لمختلف الطقوس الجنائزية وتفسيراتها المختلفة خصوصا في جانبها الرمزي والثقافي، فإنه بالمقابل لابد من التأكيد على أن عملية الربط بين حدث الموت والكتابة الشاهدية يبقى إلى اليوم محدودا مقارنة بالأركيولوجيا وعلم التاريخ، اللذين قطعا أشواط معرفية ومنهجية مهمة في مقاربة النص الشاهدي كوثيقة تأريخية وفنية، وفي نفس الوقت كظاهرة ممارسة مبطنة بتمثلات وتصورات المجتمعات حول الموت والحياة الأخرى.

في هذا السياق يأتي اهتمامنا البحثي، الذي تراكم منذ فترة زمنية بين بعض باحثي المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، والذي تمخض عنه تكوين فريق بحث وإطلاق ثلاث مشاريع بحث متتابعة زمنيا، خصت في مراحلها الأولى (2011–2014) موضوع "الكتابة على شواهد القبور"، تلاها بعد ذلك إطلاق مشروع آخر بين (2014–2017) حول موضوع "الكتابة الجنائزية في الصحف والجرائد"، حيث انصب اتجاهي للبحث ضمن هذه المشاريع، بالتركيز على رهانات الكتابة الشاهدية خصوصا ما ارتبط منها بمتغيري الذاكرة والتواصل.

هذا التوجه البحثي لم يغفلنا عن حدث الموت باعتباره حدث كوني مُؤثّث ومؤسّس لفعل الكتابة، فالموت أثار بداية حدوثه للإنسان محاولة هذا الأخير لتفسيره وإدراكه وحتى تجنبه والفرار منه، ولكن

بعدما تيقن أن ذلك غير ممكن اتجه إلى صياغة تصور وتمثل لحياة أخرى بعد الموت، وفي ذلك كان للمعتقد دور بارز في تنميط هذه التمثلات، وأمام إدراك الانسان أنه كائن ميت اتجه لتخصيص عناصر للاحتفاء بحدث موته عبر زمن وطقوس استئناسية وحميمية نازعة لعناصر الاغتراب عن الذات، أو ما عرف في "أنثروبولوجيا الموت بإزالة مفعول الموت واستئناس الموت"(1).

إذن، العمل هذا وبتواضع علمي كان حصيلة تجارب بحثية امتدت منذ سنة 2011 تقريبا وحتى اليوم، وتناولت جوانب متعددة رابطة في حيثياتها وإشكالاتها بين فعل الكتابة الشاهدية والجنائزية عموما ورهاناتها المختلفة، وحتى نقدم المستخلص من سياقات هذه البحوث، سنحاول من خلال هذا العمل موضعة الموت بداية في علاقته بالطقوس الجنائزية ثم بالكتابة الشاهدية، على أن تركيز بقية جسد البحث سيتمفصل خارج الموت، باعتبار أننا سنركز على رهانات الكتابة الشاهدية خصوصا ما يرتبط منها برهاني الذاكرة الجماعية والتواصل الاجتماعي بين الأحياء والأموات، فالنص الشاهدي ومن خلاله القبر والمقبرة بما يحيلون إليه من ممارسات وسلوكات سيكونون مجالات فيزيقية لهذه الدراسة الباحثة تحليل وفهم وتفكيك أعمق وممكن لمعاني ودلالات ذلك.

بالنسبة للمجتمع المبحوث ومن خلاله عينة الدراسة فسنخص بها بعضا من مقابر مدينتي سيدي بلعباس ووهران، وهي من المقابر العمومية التي تتواجد بالمجال الحضري للمدينتين، وسنختار ضمن ذلك عينة غير احتمالية نوع حصصية لدراسة عدد من القبور، حيث سنقوم بتفريغ مضمون شواهدها المكتوبة وتفكيكه وتحليله ومن ثمة قراءته، إضافة إلى الاستناد على عدد من المقابلات، التي قمنا بإجرائها مع عينة من زوار هذه المقابر.

I- حيز الدراسة الميدانية:

كما سلف الذكر سنتخذ ثلاث نماذج لثلاث مقابر بمدينتين بالغرب الجزائري، أهم خاصية جامعة لهم هي تبعيتهما كفضاءات عمومية لبلديات المنطقة، غير أن المختلف بينهما هو تاريخ كل مقبرة وتأسيسها ومساحتها ومواقع كل منها وتسميتها وغير ذلك.

البداية مع مقبرة سيدي بلعباس البوزيدي، التي تنسب إلى ضريحه الكائن بالجزء الغربي لهذه المدينة، أنشئت تقريبيا في فترة الأربعينات من القرن الماضي، وضمت عدد من الهكتارات على مساحة مستوية يتوسطها ضريح هذا الولي، الذي توفي ودفن بها سنة 1780 تقريبا، وبدأ الدفن بجواره لدوافع رمزية وأخروية واعتقادية من طرف المجتمع المحلي، الذي كان يقطن بجواراتها منذ ذلك التاريخ.

بالنسبة للمقبرة الثانية الذي يضمها مجال هذه المدينة من جهة الشرق فهي مقبرة مولاي عبد القادر، التي يتوسطها مقام مبني تخليدي للقطب (مولاي عبد القادر الجيلاني)، بدورها تشمل هذه المقبرة

---

(1)- **حيرش بغداد محمد** (2012). "الكتابة على شواهد القبور: تحولات الكتابة وحالتها الراهنة بمقبرة عين البيضة بوهران" محور بحث ضمن مشروع الكتابة على شواهد القبور بمنطقة الغرب الجزائري بين النمطية والتجديد. وهران: المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (CRASC)، ص. 04.

على مساحة كبيرة تنقسم على جزئين قديم وحديث تم إنشاءه فترة الثمانيات بعد استفاء مساحة القديم من الدفن، تاريخ هذه المقبرة قديم وليس هناك تحديد بالضبط ما عدا بعض الإشارات غير الرسمية للفترة الكولونيالية بالمنطقة.

المقبرة الثالثة التي شملها هذا العمل، هي مقبرة عين البيضاء بمدينة وهران تقع هذه المقبرة مجاليا في جنوب غرب مدينة وهران، وفي الجزء الشمالي الشرقي لبلدية عين البيضاء، تتربع على مساحة كبيرة تتعدى 20 هكتار، وبها جزء قديم وجزء حديث العهد بالدفن، تم افتتاحها سنة 1956، وهي أرض وقف، أما بخصوص تسمية المقبرة بمقبرة عين البيضاء حسب رواية – محافظ المقبرة – فإن ذلك يعود نسبة إلى أحد الشيوخ العلامة، الذي استقر به الحال بالمنطقة، واشتغل بها مفتيا في أمور الدين، بعد قدومه من منطقة عين البيضاء بمدينة أم البواقي، ومن ثمّ حملت هذه المقبرة اسم منطقته الأصلية(1).

صورة (2،1): مقبرة ومقام مولاي عبد القادر

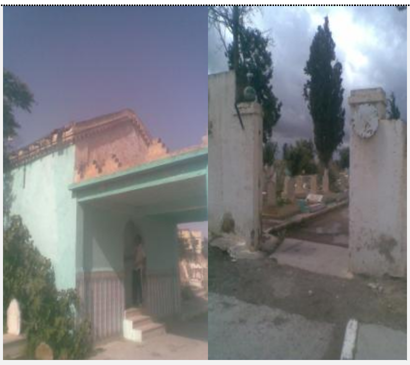

صورة (4،3): مقبرة وضريح سيدي بلعباس

صورة (5): مقبرة عين البيضاء

II– في سوسيو– أنثروبولوجيا الموت والكتابة الشاهدية:

البحث في الكتابة الشاهدية كمعطى تعبيري وثقافي ورمزي للوجود والحضور والأبدية، يحيلنا من ناحية الزمن والتصور الأنثروبولوجي وفيزيقاه إلى ما يناقض وفي نفس الوقت يؤسس لهذا المعطى، إنه حدث الموت، الحدث الذي لا يمكن اعتباره مجرد حدث فيزيولوجي، إنه حدث كائن ذو رموز، وهو معطى بشري وثقافي عام، كما أنه القدر النهائي للبشرية، فكل حي هو ميت، وكل ميت هو في أصله حي، فالإنسان كائن مُعدّ للموت، فهو "ذا القبر"(2)، وبتعبير **مارسيا إلياد** فإن "الموت ليس مجرد ظاهرة طبيعية (الحياة، أو الروح التي تغادر الجسد)، بل إنه كموضوع يتناول تغير نظام هو بآن واحد أنتولوجي واجتماعي"(3).

إنّ الموت كحدث ومعطى عرفته وتعرفه جميع الانسانية، وقد حظي من طرفها بطقوس ومعتقدات وأعراف وممارسات وتعابير وتصورات مختلفة، مثلما نُسجت عن عالمه الخرافات والأساطير، وشكّل جزء

(1)– نص مقتطف من مقابلة مع محافظ مقبرة عين البيضاء، قمنا بإجرائها بتاريخ: 07-12-2012.

(2)– **بن حتيرة صوفية السحيري** (2008). الجسد والمجتمع: دراسة أنثروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد، ط1. تونس: دار محمد علي للنشر، ص 326.

(3)– **مرسيا إلياد** (2009). المقدس والعادي، ت. العوا عادل، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ص. 212.

من تراث الأمم، الديني والتاريخي وحتى الثقافي والاجتماعي والأثري بالخصوص في صورة شواهد أرخت لاهتمام الانسان الأول بالموت.

هذا الحدث الذي تعرفه البشرية وألهم أحاسيسها ومشاعرها بالرهبة والخوف أحينا والابداع والتأمل في أخرى، فكتب عنه الفلاسفة والمفكرين بلغة تتعدت في ابداعها زمكانية الموت وفيزيقاه إلى الوجود الزماني الأبدي وإلى عالم اللانهائي واللامتناهي، عبر عن بعض ذلك الفيلسوف الإغريقي **هرقليطس** بقوله: إنه "في كل لحظة من اللحظات يموت جزء منا ويعيش الكل، وفي لحظة يموت واحد منا وتبقى الحياة. الموت بداية كما هو نهاية، والموت هو نهاية كما هو بداية"[(1)].

الأمر لا يختلف إلى حد ما مع تصوير **مارسيا إلياد** لحدث الموت بقوله عنه: إنه "ضرب من ضروب الوجود البشري، الذي لا ينهي الحياة نهاية أخيرة وحاسمة [...] فهو ليس بالأمر النهائي، وإنه متبوع دائما بولادة جديدة"[(2)]، اقتضت عند الانسان الأول أن يؤسس لها عمارة جنائزية تحاكي بيوت الأحياء، وفي هذا القول تماثل العودة والموت والمسكن ضمن رمزية الحميمية، ولذلك الكثير من شواهد القبور باللغة اللاتينية حملت في معناها هذا التلطيف والحميمية في كتابة عبارة " أنت من تراب"[(3)] حسب قول **جيلبير دوران** مثلا، والأمر نفسه في نظرية الخلق، التي تضمنتها كثير من النصوص المقدسة ومنها القرآن، الذي أكّد بشكل صريح ومباشر أن أصل الانسان هو من التراب، وإليه سيعود بعد موته، ومنه سيبعث حيا.

إذن، هذا التصور والتصوير لحدث الموت غذى آمال الانسان في الحياة الأخرى، وجعله إلى جانب أسباب دافعة للدفن، يلجأ إلى بناء القبر وهندسته بشكل يؤدي وظيفة تلطيفية للميت داخل قبره، كما أن قلب معنى الموت في حد ذاته احتاج إلى طقوس تحتوي هذا الانسان، وتجعله كائن محتوى، أو كما عبره عن **باشلار** بـ "كائن خبئ وغُطّي برفق"، كائن "أُعيد إلى أعماق مصدره"، ومن ثمة يظهر أن طقوس الدفن كانت تحيل في رمزيتها الأولى إلى أمل ورجاء الانسان في حفظ والاحتفاظ بجسد ميته إلى أطول مدة ممكنة تحت التراب، وفي ذلك ظهر التحنيط عند المصريين القدامى مثلا، الذين خصوا جثث فراعينهم بالعناية والتحنيط، إضافة إلى مصاحبتها بالأطعمة والقرابين، لاعتقادهم أن الميت تنتظره حياة أبدية أخرى[(4)]، فالموت عندهم "لم يكن نهاية للحياة (كما عند العراقيين القدامى) بل استمرارا لها في عالم آخر، لا يختلف في جوهره عن عالم الحياة"[(5)].

---

(1)- **عميري ابراهيم وسوزان رويه** (2012). المدافن والطقوس الجنائزية في ريف دمشق، ط1. دمشق: منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، وزارة الثقافة، ص 29.

(2)- **مرسيا إلياد** (2009)، نفس المرجع، ص 176، 185.

(3)- **دوران جيلبير** (2003). الأنثروبولوجيا: رموزها، أساطيرها، أنساقها، ت. الصمد مصباح، ط3. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص 214.

(4)- **نفس المرجع**، ص 216-217.

(5)- **الماجدي خزعل** (1999). الدين المصري، ط1. عمان- الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، ص 238.

بخلاف لذلك، دفعت تمثلات العرب القدامى حول ثلاثية الموت والدفن والجثة إلى "الاسراع في التخلص من الجثة لخوفهم الشعوذي من الجثة ومن عودتها"(1)، ولكن بالمقابل نجد في معتقداتهم أن أرواح الأموات وأنفسهم تلازمهم في قبورهم وتبقى بينهم، ومردّ ذلك أن الطاقة الروحية المقدسة يجب أن تعود إلى مصدرها(2).

بعد معرفة هذه المجتمعات بالإسلام، تبدلت تصوراتهم وتمثلاتهم وإدراكاتهم لحدث الموت، في ارتباط لذلك بنسق معتقدهم الديني الجديد (الاسلام)، فأفضل ما يمكن تقديمه للمتوفى تبعا لهذا المعتقد هو سرعة دفنه "إكرام الميت دفنه"، أي أن المعنى من السرعة في هذا الطقس هي إكرام له في بيئة يصعب الاحتفاظ فيها بجثته(3)، فالمسلم يعلم من خلال النص المقدس أن الجثة ستتحلل وستكون غذاء للديدان، بينما الروح وحدها هي من تبقى محشورة في السماء إلى حين يوم الحشر، ومعها تبدو للمخيال الشعبي العام أن أرواح أمواتنا تسمعنا وترانا، كما تصلها الصدقات والأدعية، دون أن تتكلم، لكن يمكن استحضارها عبر آلية المنام، في المقابل تغدو الكتابة في إلتفاف على الأرثوذوكسية الاسلامية المحرمة لبناء القبر وتجصيصه والكتابة عليه العنصر الرابط للأحياء بالأموات وبترك ذكراهم قائمة، فالكتابة استحداث وآلية أوجدها الانسان لمجابهة النسيان والموت في حدّ ذاته.

إذن، الموت من هذا المنظور "يوجد في قلب الحياة الاجتماعية عند المجتمعات المسلمة، شأنه شأن بقية طقوس العبور الأخرى (الولادة، الزواج)، فهو لحظة أساسية ومفتاحية للحياة الاجتماعية من غير أن يكون مخبأ أو مكبوت، بل إنه يظهر كمقطع مفتوح ومتقبل كجزء لا يتجزأ من الوجود، وهو يسمح في تصور مختلف الفاعلين الاجتماعيين بالعبور والمرور من عالم الحس إلى عالم الغيب، ما استدعى معه جملة من الشعائر والطقوس المنجحّة لهذا العبور"(4).

في هذا السياق، كشفت لنا أنثروبولوجيا الموت أن تصور الانسان الأول لعالم ما بعد الموت، هو الذي دفعه لسلك مختلف الأشكال والطقوس في عملية الإقبار، خصوصا أن الديانات في أصلها كما يرى ذلك **هربرت سبنسر** قد نشأت عن احترام للأموات وعبادتهم، ولم يوارى حسبه الانسان في لحده إلا بعدما

---

(1)- **شلحت يوسف** (2013). الأضاحي عند العرب، ت. خليل أحمد خليل، ط1. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ص. 109.

(2)- **صديقي محمد الناصر** (2014). ميثولوجيا أديان الشرق الأدنى قبل الاسلام، ط1. بيروت: جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ص. 19- 20.

(3)- **حيرش بغداد محمد** (2014). الكتابات الجنائزية في الصحف: المكونات والخصائص، مشروع بحث في طور الانجاز، (2014-2017). وهران: وحدة البحث (UCCLLA)، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (CRASC)، ص. 05.

(4)- **حيرش بغداد محمد** (2012). "الكتابة على شواهد القبور: تحولات الكتابة وحالتها الراهنة بمقبرة عين البيضة بوهران" محور بحث ضمن مشروع الكتابة على شواهد القبور بمنطقة الغرب الجزائري بين النمطية والتجديد. وهران: المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (CRASC)، ص. 36.

نشأت تصورات ذهنية للإنسان حول حياة ما بعد الموت، ودليل ذلك عنده أن وضع الميت في القبر اختلف باختلاف معتقدات الانسان الأول، فاعتقاد بعض الشعوب مثلا في أن الانسان يُولد من جديد بعد موته، دفعها لوضع موتاها في القبور على هيئة الجنين في أحشاء أمه، استعدادا للولادة الثانية[1].

تفسير هذه التصورات واختلافها حول الموت نابع من كون مشهديّة هذا الحدث قد شدت الانسان الأول منذ القدم، فكان أكثر شيء يخافه، لذلك حاول بكل الطرق ايجاد التفسير الممكن له، أو الطريق للفرار منه وتجنبه، ولكن مع عجزه واستحالة ايجاده التفسير أو الطريقة لتجنبه، بدأ هذا الانسان يقنع نفسه بأن الموت ليس هو نهاية، وإنما لحظة انتقالية إلى حياة أخرى، وأن حدث الموت مرتبط في مشهديته الفيزيقية بالجسد فقط لا الروح التي تبقى حية بأشكال مختلفة، ولأجل هذه الحياة الأخرى وتبعا للأشكال التصور والمعتقد والأسطورة اتجه الانسان إلى ابداع طرق في تعامله مع جثة الميت من حيث طقوس وطرف الدفن وأنواع المدافن وعمارة الموت عموما، فرغم اختلاف الشكل لكن هناك تشابه عام من حيث المضمون، ونفس الشيء يمكن تعميمه عن فلسفة الانسان حول الموت ومصير الروح[2].

ولأجل معايشة حدث الموت، جاءت الطقوس الجنائزية، التي تمثّلها معظم الأنثروبولوجيون كطقس للمرور، ويعد فيها الدفن كممارسة وطقس ناقل للجسد من عالم الأحياء إلى الأموات، بعد ما يتم فصله بداية عن عالم الأحياء[3]، وبمقتضى ذلك يصبح الميت سلفا عند بعض المجتمعات، في حين تعمل مجتمعات أخرى على إزالة الموتى تماما من مجال الحياة الاجتماعية للأحياء[4] تبعا لمعتقداتها وتصوراتها، التي تُكوّنها حول حدث الموت، في حين تحافظ أخرى مثل مجتمعاتنا المغاربية على أواصل الصلة والذكرى بأمواتها والكتابة في ذلك أحد مفاتيح هذا الربط.

بالنسبة لطقس الدفن فإنه يصاحب في العادة بطقوس وممارسات أخرى قد تسبقه أو تلحقه، وهي تختلف باختلاف عقائد وأساطير وتمثلات الأمم لحدث الموت والدفن، بعد ذلك يأتي فعل الحداد الذي قد يطول أو يقصر، وبانتهائه يعود الجميع إلى الحياة العادية[5]، لكن هذه العودة لن تكون قطعية في العلاقة بالأموات، ولأجل ذلك كانت الكتابة الشاهدية ضرورية عند كثير من المجتمعات ومنها مجتمعنا الجزائري للتأريخ لهوية أمواتها وإعادة إدماجهم بداية مع الأموات ثم في ربطهم بعالم الأحياء مرة أخرى من خلال فعل الكتابة على القبر، والمتضمنة في العادة لخطاب يتحدث من خلاله المتوفى ولو بشكل صوري مع الحي.

---

(1)- **شلحت يوسف** (2003). نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني (الطوطمية- اليهودية- النصرانية- الاسلام)، تحقيق وتقديم خليل أحمد خليل، ط1. بيروت: دار الفارابي، ص 60.

(2)- **عميري ابراهيم وسوزان رويه**، نفس المرجع السابق، ص 23.

(3)- **منديب عبد الغني** (2006). الدين والمجتمع: دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ص 158.

(4)- **الجوهري محمد** (2008). المفاهيم الأساسية في علم الأنثروبولوجيا، القاهرة: منشور غير مطبوع، ص 374.

(5)- **منديب عبد الغني**، نفس المرجع، ص 158.

يأتي كل هذا بعد بناء القبر، الذي يأتي في العادة عند كثير من الشعوب العربية ومنها المغاربية والجزائر بالخصوص بعد أربعين يوما من الوفاة، لكن اليوم مع كثافة الموت وعمليات الإقبار تبعا للكثافات السكانية الكبيرة، أصبح بناء القبر ومعه الكتابة الشاهدية، ظاهرة آنية وسريعة حتى لا تتعرض هوية صاحب القبر للاختفاء بين القبور الأخرى، إضافة إلى محافظة الفئات الاجتماعية غير المتعلمة عبر لجوئها إلى تعيين قبور أمواتها بإشارات حسية ورمزية ولو ظرفيا ما يجعل الحسي والتجريدي (الاشارات الرمزية والكتابة) مستمرين في التعايش جنبا إلى جنب، أحدهما علامة مرشدة للأميين والآخر علامة مرشدة للمتعلمين حول هوية القبور وأصحابها(1).

في هذا السياق، تُعرّفُ الكتابة الشاهدية كأداة وتعبير مهم انسانيا ضد النسيان، فبفضل ذلك يتم تعين وتوضيح هوية أصحاب القبور، كما أنها وسيلة للحماية من تلف القبور وهوية أصحابها بين القبور الأخرى، إذن هذا جعل منها عنصر ضروري للتواصل وفي التأريخ للأموات وترسيخ فعل الارتباط والتذكر لهم.

إذن فعل الكتابة، رغم أنه مُحَيّد من ضمن الطقوس الجنائزية، إلا أنه مَثَّلَ للإنسان كما سيظهر من نتائج هذا البحث أهم ميكانيزمات تعايشه وربط لذاكرته بأمواته، ومعه لم يعد مجال وموضع الجثة مقتصرا على حفرة القبر بل تعداها اليوم بعد البناء إلى الشاهدين ثم الكتابة، التي توسع مجالها ومضمونها ومحتواها، ومعه أصبحت عنصرا مؤسس ورابط لعلاقة بنيوية ووظيفية بين الانسان الحي والميت والموت في حد ذاته، فالشاهدين بما يتضمناه من كتابة ورمزيات غدى مجالين للتعبير والتواصل وللذكرى بين الأحياء والأموات، كما انعكسا كآلية أبدعها الانسان للالتفاف على الموت في حد ذاته ومجابهة النسيان.

إذن تبرز الكتابة الشاهدية من الناحيتين الأنثروبولوجية والسوسيولوجية كمفتاح أساسي في فهم المجتمعات ومنها مجتمعاتنا المحلية المعنية بهذه الدراسة، فالمقبرة مرآة عاكسة للتراتب والتفاوت الطبقي وصورة حية لواقع هذه المجتمعات، مثلما تختصر هذه النصوص الشاهدية ثقافة وهوية وحضارة وتاريخ المنطقة، كما يتبين من خلال شواهد القبور بالمنطقة عادات الكتابة ومضامينها وتراكيبها وغير ذلك، غير أن المهم في ذلك يبقى رهانات هذه المجتمعات من فعل الكتابة، وهو الجزء الأساسي الذي سنخصه بالبحث والتنقيب.

عموما تبقى المقبرة كمكان للذكريات، وفي نفس الوقت وبشكل مناقض مكان للنسيان، فهي المسكن والمأوى الأخير للإنسان، كما أنها الحقل الغني بالرمزيات(2) الذي يحتاج فهمه إلى التفكيك

---

(1)- **بووشمة الهادي** (2012). "الكتابة على الضريح والقبر بسيدي بلعباس: توسيع لآفاقها أو تضييق لها؟"، عمل منجز ضمن مشروع الكتابة على شواهد القبور بمنطقة الغرب الجزائري، بين النمطية والتجديد. وهران: المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (CRASC)، ص. 21-22.

(2)- **ELAROUSSI Khalid** (1998), «Mort et espace funéraire islamique: le cas de ville d'ELJADIDA», les sciences humaines et sociales au MAROC: études et arguments, Institut Universitaire de la recherche scientifique, Rabat. pp (287- 303), p. 293.

والتأويل، فالمقبرة نص كبير حروفه وفقراته الشواهد والقبور، التي تختصر الزمن والهوية وتحدد اللحد وتحتضن الجثة، وتعكس بالمقابل رهان الانسان من الكتابة، حيث الذاكرة والتواصل الاجتماعيين يبقيا كأحد أبرز رهانات هذه المجتمعات من ذلك.

III- تأصيل المفاهيم الإجرائية في البحث:

بالنسبة لحدث الموت أولا تختصره المعاجم العربية بتعبيرات "المنية والردى والوفاة والحتف" وغيره[1]، أما من الناحتين البيولوجية والفلسفية فهو الانفصال الطبيعي والملزم عن العالم، وهو النهاية الطبيعية لكل مخلوق، حيث يتوقف الجسد عن الاشتغال ويصير جثة هامدة[2].

بالنسبة لكلمة الشاهد فهي مشتقة من المشاهدة والمعاينة[3]، ومنها اشتقاقا "الشاهدة وهي خبر قاطع"[4]، ومن معانيها أيضا "الأرض"، "وقد شَهد كعَلِم وكَرُمَ، والشاهد هو اللسان"[5]، "وشهده كسمعه شهودا حضره، فهو شاهد والجمع شهود"، رغم كل ذلك يبقى أقرب المعاني والتفسيرات المقصودة هو: "أن الشاهد بما يحمله من كتابات متنوعة يعتبر بمثابة الخبر والدليل، الذي يشير إلى المدفون في القبر، الذي يعلوه هذا الشاهد، بمعنى أنه دليل على صاحب القبر"[6].

بالنسبة للمصطلحات المرادفة والمتداولة للتعبير عن شواهد القبور، فهي تختلف من قطر إلى آخر تبعا لاختلاف اللهجات خصوصا، ففي بلاد المغرب مثلا يطلق على الشاهد مصطلح الروسية، الجنابية، المقبرية، التأريخ، كما يعرف شاهد القبر المستطيل الشكل في الجزائر بالشاهد أو الروسية وذلك لأنه يوضع عند رأس القبر[7].

أما بالنسبة لمعنى الكتابة الشاهدية (Inscriptions funéraires) فهي الكتابات المنقوشة على شواهد القبور لتخليد ذكرى وفاة أحد الأشخاص، ويطلق عليها أيضا اسم الكتابات المقبرية، نسبة إلى

---

(1)- **إدارغة محمد** (1998). " رحلة شاقة في ملكوت الموت". من الكتاب الجماعي: الكتابة والموت: دراسات في حديث الجثة، ط1. مكناس. سندي للطباعة والنشر، ص ص (77- 110)، ص 110.

(2)- **حجي محمد محمد** (1998). " استطيقا الموت في " حديث الجثة"، من كتاب: الكتابة والموت: دراسات في حديث الجثة، ط1. مكناس: سندي للطباعة والنشر، ص ص (45- 49)، ص 45- 47.

(3)- **بوخالفة عزي** (2011). شواهد الاحسان على مآثر المحروسة تلمسان، ط1. تلمسان: منشورات تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية، ص 09

(4)- **أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الأفريقي المصري** (2005)، لسان العرب، تحقيق **عامر أحمد حيدر** ومراجعة **خليل عبد المنعم**، المجلد 3، ط1. بيروت. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ص 630.

(5)- **الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب** (2008). القاموس المحيط، مراجعة وإشراف **الإسكندراني محمد**. بيروت. دار الكتاب العربي، ص 307.

(6)- **علاء الدين عبد العال عبد الحميد** (2013). شواهد القبور الأيوبية والمملوكية في مصر، ط1. الأسكندرية: نشر مكتبة الأسكندرية وطبع بمطبعة الشركة المتحدة للطباعة والنشر، ص 15-16.

(7)- **علاء الدين عبد العال عبد الحميد**، نفس المرجع السابق، ص 17.

القبر، الذي يحتضن في العادة رفاة المتوفي[1]، أما مادة صناعة الشاهد فتكون في العادة من حجر أو خزف أو رخام أو لوح أو حتى من الحديد، ويستعمل ذلك للتعريف بأصحاب القبور وحفظ أسمائها ومنع اختلاطهم بغيرهم من القبور[2]، في إطار ممارسة الانسان لطقوس الدفن الجماعي لأمواته ضمن فضاء عام استحدثه وعرّفه بالمقبرة، هاته الأخيرة التي لم يعرف لها تاريخا أولا ومحددا لتأسيسها في حياة الانسانية[3].

في المقابل، فإن القبر، وأحيانا الضريح كمرادف له وفضاء لهذه الكتابة الشاهدية، عُرف بالمكان لدفن الأموات، وجمعه قبور، مشتقة من الفعل الثلاثي قبر، قبرا الميت، دفنه. والمقبر المصدر، والمقبرة هي موضع القبر وهو المقبريّ، والقبر هو قياس في اسم المكان من قبر يقبُر المَقبرُ ويُقبِرُهُ أي دفنه وأقبره جعل له قبرا، والمقبرة هي موضع دفن الموتى[4] وجمعها مدافن، وهي أيضا مشتقة من فعل ثلاثي معناه وارى، أي أخفى، يقال وراه التراب، أي وضعه في حفرة القبر وغطاه بالتراب[5].

IV- آليات الكتابة الشاهدية ورهاناتها:

لقد أوجد المجتمع المحلي الذي نحن بصدد دراسته في ميكانيزمات الكتابة الشاهدية الآلية والحل الذي مكّنه من رهانين على الأقل، أولهما أن الكتابة بما تتضمنه من إشارات وتعابير ومعاني ورمزيات، هي إشارة مهمّة في ربط الذاكرة الجماعية للأحياء بالأموات، أما من الناحية الثانية فإنه من شأن حضور هذه النصوص أيضا أن يؤدي وظيفة تواصلية بين الأحياء والأموات ولو بشكل صوري ومن خلال الشاهد.

1- رهان الذاكرة الجماعية:

قبل الحديث عن الرهان الذاكراتي وجب التأكيد عن الذهنية الاسلامية المتشددة، أثقلت كل ما يدور في فلك القبر بالنواهي والمحرمات، فموقف الفقهاء كان دائما ضد مسألة الذاكرة، حيث طقوس الدفن هي آخر طقس احتفالي – لا حداد بعد ثلاثة أيام-، وبالتالي لا توجد مناسبات أخرى للتذكر أو لإحياء ذكرى الأموات، هذا الموقف المعادي للذاكرة لم يستطع أن يصمد في نسق الممارسات الاجتماعية حول القبر، فهذه النواهي لم تكن دائما مُتبعة، فقد جرى الالتفاف عليها وتطويعها، حتى أن نلمس نوع من

---

(1)- **الحاج موسى عوني** (2010). فن المنقوشات الكتابية في الغرب الإسلامي. الدار البيضاء: مؤسسة الملك عبد العزيز- منشورات عكاظ، ص 115.

(2)- **حقي محمد** (2005). "عمارة الموت في المغرب والأندلس: بناء القبور"، من مجلة المناهل، عدد حول: "العمارة في المغرب قديما"، مجلة فصلية تصدرها وزارة الثقافة المغربية. الرباط: مطبعة دار المناهل، السنة 27- عدد 73/ 74، ص. ص.(387 402)، ص. 393.

(3)- **معزوز عبد الحق** (2011). شواهد القبور في المغرب الأوسط بين القرنين (13 و19م)، ط.1، الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، ص. 15-16.

(4)- **ابن منظور**، نفس المصدر السابق، ص. 644.

(5)- **معزوز عبد الحق**، نفس المرجع السابق، ص. 23.

التحدي، فالذاكرة الجماعية الجزائرية والمحلية بالمنطقة رغم تسننها ومالكيتها، إلا أننا نجدها حريصة على إبقاء ذكرى الميت قائمة ومستمرة[1]، وهو ما أكسب ذلك الحق والشرعية بالتقادم عبر آلية الاعتراف الاجتماعي[2].

في هذا السياق تأتي الكتابة الشاهدية كآلية للتذكر، أبدعها الانسان وانتقل بها من عالم الاشارة والعلامة الحسية، إلى الكتابة التجريدية، فأصبحت ظاهرة ملازمة لمعاشه وتعبير له أو عنه، وباعتبار أن المقابر وما تحيل إليه من رمزية الانتقال، فإن الانسان انتهى لأجل التذكر وعدم النسيان إلى هذه الآلية، التي أصبحت ملازمة للقبر عبر شاهديه الأمامي والخلفي، اللذين يحملان في هندستهما رمزية الباب الوهمي، الذي يبرز مع الشكل الغائر الموجود عليهما[3]، والذي يحمل معنى الدخول والتواصل مع الميت صاحب القبر (القبر= البيت، والمقبرة= المدينة)، فآلية معرفة وتذكر هوية الميت والاستحضار الذهني له تتمّ في العادة بعد قراءة الشاهد قبل التواصل معه وإجابة الطلب.

بالنسبة لميدان البحث من خلال نماذج الدراسة الثلاث، فإن الملاحظ أوليا هو كثافة الكتابة الشاهدية المتنوعة في أشكالها ورموزها وهندستها ومضامينها خصوصا، فما تتضمنه أغلب شواهد المقابر الثلاثة هو استمارات مكتوبة متضمنة لمعنى الخطاب الممكن من الأموات إلى الأحياء، تبين فيه في العادة هوية المتوفى وأدعية وآيات وأحاديث تحملها عادة شواهد قبره، تجعل المتأمل لها يدرك أن الكتابة بما تتضمنه من رمزية ودلالة تحيل رغم الموانع الدينية والفقهية إلى اتجاه هذا المجتمع المحلي إلى تخليد أبدي لأمواته وربطهم بذاكرته الجماعية، مع محاولة استدرار الزائر لفضاء المقبرة للدعاء والترحم عليهم.

إذن، الشاهد بفضاء هذه المقابر تحول مع الزمن إلى مجال ومساحة للنص وللتدوين لهوية صاحب القبر وأدعية له، كما عوضه رمزيا حيث أصبح لسان حاله الذي لا يتكلم، بل يبعث الاشارات البليغة والمؤثرة نظير ما يتضمنه من خطاب بليغ موجه إلى الأحياء، مثقل بالكلمات المؤثرة في المشاعر [4] سواء في طلب الرحمة، باعتبار أن الميت كائن انساني مذنب يحتاج الخلود والنجاة من النار، في المقابل تؤثر مشهدية المقبرة وتوزيع القبور وخطابات الشواهد في تمثل ومخيال الانسان الحي، حيث سمة التذكر والتفكر تصبح الآلية الملازمة للزائر، فمن هول المقابر وما تتضمنه شواهدها تتأجج مشاعر الزائر سواء في شوقه لأمواته، أو بخوفه على مصيره وقدره في الموت القدم والمحتوم.

---

(1)- **بن حتيرة صوفية السحيري**، نفس المرجع السابق، ص. 349.

(2)- **سعيد محمد** (2003)، "المجال الأوليائي: ضريح سيدي محرز نموذجا"، ورقة مقدمة إلى الملتقى الدولي الثاني حول: القبيلة- المدينة- والمجال في العالم العربي الاسلامي الوسيط، مخبر العالم العربي الاسلامي الوسيط. تونس: 10-04/12/ 2003، ص 284- 285.

(3)- **حيرش بغداد محمد** (2012)، نفس المرجع السابق، ص 36.

(4)- **توينبي أرنولد وآخرون** (2011). الانسان وهموم الموت، ت. شعلان عزت، ط1. القاهرة: المركز القومي للترجمة، ص 151.

إذن المقبرة بهذا الشكل، هي "ليست موطنا للأموات فقط، بل إن طقوس الزيارة تتيح للأحياء إعادة تملكها وامتلاكها في إطار – ما سبق الاشارة إليه– عند المختصين في أنثروبولوجيا الموت بإزالة مفعول الموت، أو استئناس الموت"(1)، وفي ذلك تصبح الشواهد بخطاباتها خيطا رابطا للأموات بالأحياء، هذا الحال تكتشفه محليا طقوس الزيارة الأسبوعية خصوصا والمصادفة ليوم الجمعة، حيث تجديد اللقاء واستئناس الأموات وشحن عناصر الذاكرة بهم من جديد من طرف الأحياء والزوار.

عموما، إن الكتابة الشاهدية هي حاملة خطاب حي مستديم يعبر عن هوية الميت الراقد تحت الثرى وتحيل المرء إلى ذِكْرَى وتذكّر الميت، ومن جهة أخرى إذا كان الموت يحيل إلى الانتهاء من مرحلة، فإن من شأن لجوء المجتمع للتأريخ لمواته أن يكون عنصرا في حد ذاته ضد الموت، ومنه –كما سلف الذكر– تصبح الكتابة وسيلة أمان ضد الموت/ النسيان/ الفناء، ومعها تعاظمت الحاجة الإنسانية لأجل عدم فقدان/ نسيان الأماكن التي دفن فيها الأقارب والأهل، ولأجل ذلك استعان الإنسان الشعبي والمحلي ببعض "العلامات" المرشدة للدلالة على قبور موتاه، ما لبثت أن تطورت هذه العلامات وأصبحت اليوم "علامات كتابية" تستجيب لتعقد/تطور الحياة الاجتماعية وتوسع المقبرة، فهذه العلامات تشهد أن فلان عينه مدفون في هذا القبر وليس شخصا آخر.

2- رهان التواصل الاجتماعي:

بالنسبة لرهان التواصل من خلال فعل الكتابة الشاهدية، أكد غالبية المبحوثين على أن معلومات الهوية للمتوفي والدعاء له بالمغفرة والرحمة هو ما تتضمنه أغلب الشواهد. نفس الأمر تأكد لنا ميدانيا من خلال ملاحظاتنا، إذ إن أغلب القبور الموجودة بفضاء هذه المقابر الثلاث، والتي اخترنا قراءة شواهدها عشوائيا– يتضمن الشاهد الأول منها عادة هوية المتوفى أما الشاهد الثاني فيتضمن الدعاء له، بصيغة يمكن تلخيصها في عبارة " يا واقفا على قبرنا أدع لنا بالرحمة".

صورة (6): الشاهد الأول يتضمن هوية وتاريخ ميلاد ووفاة صاحب القبر

صورة (7): الشاهد الثاني يتضمن الدعاء (خطاب)

(1)- **حيرش بغداد محمد** (2012)، نفس المرجع، ص. 04.

من ناحية ثانية، تأملنا لشكل القبور ومحتواها من الكتابة، جعلنا ندرك فحوى خطاب ضمني يمكن قراءته وفك رموزه وتأويل معانيه وتحديد دلالاته، فمجال القبر يقدم خطابا يفرض على الزائر تلقيه والتجاوب معه. فهذا الأخير تُؤَسَّسُ هويته فوق الجدار الذي يَحُدُّ مسكنه (قبره) من الجانبين. إنها متضمنة في الكتابة على الشاهدين: أحدهما في أعلى القبر والثاني في أسفله وعلى كل منهما خطاب مختلف، الأول عبارة عن بطاقة تعريفية تتضمن الاسم والنسب وسنة الميلاد ثم سنة الوفاة، وعلى الثاني آية قرآنية أو دعاء بصيغ مختلفة ولكن أكثرها هو دعاء "يا واقفا على قبرنا أدع لنا بالرحمة والمغفرة"[(1)].

إذن، هذه المعلومات المدونة على النص الشاهدي تفرض على المتلقي (الزائر)، رد الجواب بطلب رحمة الميت، وهو ما يحصل، وبالتالي من خلال مجال الشاهد يؤسس الانسان الحي لحوار بينه (كزائر) وبين من هم من مخاطبيه (صوريا) وهم الأهل من الأموات، الفاصل بينهم أن كل طرف في دار، الأول في الحياة الدنيا، والثاني في الآخرة لا يستطيع الكلام[(2)]، ولكن عوّض النص الشاهدي ذلك، بأن أصبح لسان حاله، إنّه نسق للاتصال والتواصل مع الانسان الزائر، الذي تُجِلُّه العبارات والمواعظ والأدعية المكتوبة، مثلما يشدّه شكل القبر وبنائه، ومن ثمة يمكن القول أن القبر بشاهديه وبنائه هو نسق محمل بالرموز والدلالات، التي تحيلنا إلى التواصل، الذي في الأخير هو أحد رهانات الحي والميت من الكتابة الشاهدية.

من جهة أخرى ساهمت الزيارة كممارسة وطقس انساني متواصل في محافظة المجتمع المحلي على ذاكرته بأمواته وخصالهم والدعاء لهم، مثلما حفظ فضاء الدفن وصونه المستمر، ولذلك كان لابد أيضا من الحضور والوجود الدائمين لبناء القبر والكتابة على شواهده، ولأجل كل هذا عدّد المبحوثون عددا من الدوافع للحضور المتنامي للكتابة من على القبور، ومنها أن الكتابة تساعد على الذاكرة التذكر وعدم نسيان الأهل والأقارب من الأموات، كما أن الكتابة بما تتضمنه هي خطاب للتواصل بين الميت والحي، وهي ضرورية لطلب الرحمة واجابتها، وطقس الزيارة عامل مهم ومساهم لاستمرار هذا التواصل.

من ناحية أخرى، اعتبر العديد من المبحوثين أن تزايد عدد الأموات وكثرة القبور وتشابهها في الشكل يتطلب الكتابة، ويجعلها ضرورية للتمييز بين القبور وتحديد هوية صاحبها، وإلا فإن هوية صاحب القبر ستختفي مع الزمن، وعينة القبور التالية توضح ذلك:

---

(1)- **يشوتي محمد** (2011). "تواصل الواقع والمتخيل من خلال علاقة الدنيوي بالأخروي"، بحث غير منشور، وجدة، كلية الآداب، جامعة وجدة، ص. 03.

(2)- **نفس المرجع**، ص. 04.

صورة (8،9،10): تبين عينة من شواهد القبور بكل من مقبرتي سيدي بلعباس ومولاي عبد القادر

إذن، من شأن استمرار الكتابة وحضورها الدائم أن يكون في حد ذاته استمرار للمتوفى بين الأحياء، ومن ثمة تصبح الكتابة أهم العناصر المؤسسة لشروط التواصل بين الحي والميت والمفضية إليه، ما يؤدي إلى دخول الانسان الحي في عملية تواصل مع ميته، والعكس، ومعه تصبح الزيارة تواصلا بين ذاتين. والقول بأن فلان يزور فلانا، يعني أنه يؤسّس علاقة ما (ترحم، تذكر، حنين...) وتصبح من خلالها الكتابة كرابطة بين الطّرفين(1).

- الخاتمة:

في نهاية هذا البحث يمكن التأكيد على أن حضور الكتابة الشاهدية واستمرارها اليوم مرتبط في تجلياته برهانين اجتماعيين على الأقل، الأول يمكن وصمه بالرهان الذاكراتي، حيث الكتابة وتعيين قبر الميت فيها رمزية لتدوير ودوران الذاكرة في ارتباط بالميت- الحي من خلال فعل الحضور الرمزي، كما أنه وبارتباط بهذا الرهان كانت الكتابة آلية سامحة وسانحة لفعل التواصل عبر طقس الزيارة مثلا، فبمجرد دخول المقبرة يجد الزائر نفسه متلقيا للخطابات ومجيب لها، فما يحليك إليه الشاهد من طلبات وأوامر، يجعلك في وضع المأمور بالإجابة وبشعور سيكولوجي أو حتى بدون شعور تجد نفسك تتجاوب مع سكان المقبرة ولو صوريا باعتبار أن الشاهد هو لسان حال الميت، الذي نطقه يكون من خلال الكتابة وعباراتها المدونة على جدارية الشاهدين.

إذن، نحن أمام رهانات اجتماعية واضحة المعالم والدافعية، ولو أن الأورثوذوكسية السنية تدفع لتصور وممارسة مخالفة لذلك، إلا أنه رغم تسنن هذا المجتمع، فإنه نجده حريص على دوام اتصاله بميته وترك ذكراه قائمة ومستمرة، ولأجل ذلك كانت وستبقى الكتابة واحدة من الآليات والميكانيزمات الانسانية البليغة في خطابها ومضامينها في هذا الربط والتواصل بين الأحياء والأموات، فهي أداة لا يمكن الاستغناء عليها في التأسيس لفعل التواصل، كما أنها في نفس الوقت آلية ضد الموت ذاته، بفضلها أوجد المجتمع الوسائل والسبل لمجابهة النسيان، وترك ذكرى الأهل الأموات حية مستمرة، ومعه تبقى الكتابة الملاذ الأخير والعنصر الأساسي بعد البناء في تحديد هوية الميت وترك ذكراه وتواصله قائما.

(1)- **يشوتي محمد** (2011)، نفس المرجع السابق، ص. 4.

- **البيبليوغرافيا:**

1- باللغة العربية:

1-1-المصادر:

1)- **أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الأفريقي المصري** (2005)، لسان العرب، تحقيق **عامر أحمد حيدر** ومراجعة **خليل عبد المنعم**، المجلد 3، ط1. بيروت. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية.

2)- **الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب** (2008). القاموس المحيط، مراجعة وإشراف **الإسكندراني محمد**. بيروت. دار الكتاب العربي.

1-2- المراجع:

3)- **إدارغة محمد** (1998). " رحلة شاقة في ملكوت الموت". من الكتاب الجماعي: الكتابة والموت: دراسات في حديث الجثة، ط1. مكناس. سندي للطباعة والنشر، ص ص (77- 110).

4)- **بن حتيرة صوفية السحيري** (2008). الجسد والمجتمع: دراسة أنثروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد، ط1. تونس: دار محمد علي للنشر.

5)- **بوخالفة عزي** (2011). شواهد الاحسان على مآثر المحروسة تلمسان، ط1. تلمسان: منشورات تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية.

6)- **بووشمة الهادي** (2012). "الكتابة على الضريح والقبر بسيدي بلعباس: توسيع لآفاقها أو تضييق لها؟"، عمل منجز ضمن مشروع الكتابة على شواهد القبور بمنطقة الغرب الجزائري، بين النمطية والتجديد. وهران: المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (CRASC).

7)- **توينبي أرنولد وآخرون** (2011). الانسان وهموم الموت، ت. شعلان عزت، ط1. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

8)- **الجوهري محمد** (2008). المفاهيم الأساسية في علم الأنثروبولوجيا، القاهرة: منشور غير مطبوع.

9)- **الحاج موسى عوني** (2010). فن المنقوشات الكتابية في الغرب الإسلامي. الدار البيضاء: مؤسسة الملك عبد العزيز- منشورات عكاظ.

10)- **حجي محمد محمد** (1998). " استطيقا الموت في " حديث الجثة"، من كتاب: الكتابة والموت: دراسات في حديث الجثة، ط1. مكناس: سندي للطباعة والنشر، ص ص (45- 49).

11)- **حقي محمد** (2005). "عمارة الموت في المغرب والأندلس: بناء القبور"، من مجلة المناهل، عدد حول: "العمارة في المغرب قديما"، مجلة فصلية تصدرها وزارة الثقافة المغربية. الرباط: مطبعة دار المناهل، السنة 27- عدد 74/73، ص ص (387 402).

12)- **حيرش بغداد محمد** (2012). "الكتابة على شواهد القبور: تحولات الكتابة وحالتها الراهنة بمقبرة عين البيضة بوهران" محور بحث ضمن مشروع الكتابة على شواهد القبور بمنطقة الغرب الجزائري بين النمطية والتجديد. وهران: المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (CRASC).

13)- **حيرش بغداد محمد** (2014). الكتابات الجنائزية في الصحف: المكونات والخصائص، مشروع بحث في طور الانجاز، (2014-2017). وهران: وحدة البحث (UCCLLA)، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (CRASC).

14)- **سعيد محمد** (2003). " المجال الأوليائي: ضريح سيدي محرز نموذجا"، ورقة مقدمة إلى الملتقى الدولي الثاني حول: القبيلة- المدينة- والمجال في العالم العربي الاسلامي الوسيط، مخبر العالم العربي الاسلامي الوسيط. تونس: 10-12/04/ 2003.

15)- **شلحت يوسف** (2003). نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني (الطوطمية- اليهودية- النصرانية- الاسلام)، تحقيق وتقديم خليل أحمد خليل، ط1. بيروت: دار الفارابي.

16)- **شلحت يوسف** (2013). الأضاحي عند العرب، ت. خليل أحمد خليل، ط1. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

17)- **دوران جيلبير** (2003)، الأنثروبولوجيا: رموزها، أساطيرها، أنساقها، ت. الصمد مصباح، ط3. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

18)- **صديقي محمد الناصر** (2014)، ميثولوجيا أديان الشرق الأدنى قبل الاسلام، ط. 1، بيروت، جداول للنشر والترجمة والتوزيع.

19)- **علاء الدين عبد العال عبد الحميد** (2013). شواهد القبور الأيوبية والمملوكية في مصر، ط. 1، الأسكندرية: نشر مكتبة الإسكندرية وطبع بمطبعة الشركة المتحدة للطباعة والنشر.

20)- **عميري ابراهيم وسوزان روبه** (2012). المدافن والطقوس الجنائزية في ريف دمشق، ط. 1، دمشق، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، وزارة الثقافة.

21)- **الماجدي خزعل** (1999). الدين المصري، ط1. عمان- الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.

22)- **مرسيا إلياد** (2009). المقدس والعادي، ت. العوا عادل، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.

23)- **معزوز عبد الحق** (2011). شواهد القبور في المغرب الأوسط بين القرنين (13 و19م)، ط1. الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية.

24)- **منديب عبد الغني** (2006). الدين والمجتمع: دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.

25)- **يشوتي محمد** (2011). "تواصل الواقع والمتخيل من خلال علاقة الدنيوي بالأخروي"، بحث غير منشور، وجدة: كلية الآداب، جامعة وجدة.

2- باللّغة الأجنبية:

26)- **ELAROUSSI Khalid** (1998), «Mort et espace funéraire islamique: le cas de ville d'ELJADIDA», les sciences humaines et sociales au MAROC : études et arguments, Institut Universitaire de la recherche scientifique, Rabat.